

مجمع الأمثال

4593 - هَلَامٌ جَرَّأ .

قَالَ المفضل : أَي تَعَالَوْا عَلَى هَيْئَتِكُمْ كَمَا يَسْهَلُ عَلَيْكُمْ وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ الْجَرِّ فِي السَّوْقِ وَهُوَ أَنْ تَتْرَكَ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ تَرعى [ص 403] .
فِي سِيرِهَا قَالَ الرَّاجِزُ :

لَطَالَمَا جَرَّرْتُ تُكُنَّ جَرَّأ ... حَتَّى نَوَى الْأَعْجَفُ وَاسْتَمَرَّأ .
فَالْيَوْمَ لَا أَلُو الرِّكَابَ شَرَّأ .

وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الْمُسْتَطْعِمُ عَمْرُو بْنُ حِمْرَانَ الْجَعْدِيُّ زُبْدًا وَتَامَكَ حَتَّى قَالَ لَهُ عَمْرُو : كَلَاهُمَا وَتَمَرَا وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهَا فِي حَرْفِ الْكَافِ (انظر المثل رقم 3079) .
وَأَسْمَ ذَلِكَ الرَّجُلِ عَائِذُ وَكَانَ لَهُ أَخٌ يُسَمَّى جَنْدَلَةَ وَهُمَا ابْنَا يَزِيدَ الْيَشْكِرِيِّ وَلَمَّا رَجَعَ عَائِذُ قَالَ لَهُ أَخُوهُ جَنْدَلَةُ :

أَعَائِذُ لَيْتَ شَعْرِي أَي أَرْضِ ... رَمَتْ بِكَ بَعْدَ مَا قَدَّ غَيْبَتَ دَهْرًا .
فَلَمْ يَكُ يُرْتَجِي لَكُمْ إِيَابُ ... وَلَمْ نَعْرِفْ لِدَارِكَ مُسْتَقَرَّأ .
فَقَدْ كَانَ الْفِرَاقُ أَذَابَ جِسْمِي ... وَكَانَ الْعَيْشُ بَعْدَ الْمَصْفُورِ كَدْرًا .
وَكَمْ قَاسَيْتُ عَائِذُ مِنْ فُطَيْعِ ... وَكَمْ جَاوَزْتُ أَمْلَاسَ مُقَشَّعِرَّأ .
إِذَا جَاوَزْتَهَا اسْتَقْبَلَتْ أُخْرَى ... وَأَقْوَدَ مُشْمَخِرَّ النَّيْقِ وَعَرَّأ .
فَأَجَابَهُ عَائِذُ فَقَالَ :

أَجْنَدَلُ كَمْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ أَرْضًا ... يَمُوتُ بِهَا أَبُو الْأَشْدِيَّالِ ذُعْرًا .
قَطَعْتُ وَلَا مِيعَاتُ الْآلِ تَجْرِي ... وَقَدْ أَوْتَرْتُ فِي الْمَوْمَةِ كَدْرًا .
وَلَطَامِيسَةُ الْمُتُونِ ذَعْرَتُ فِيهَا ... خَوَاصِبَ ذَاتِ أَرْآلٍ وَغُبْرًا .
وَإِنْ جَاوَزْتُ مُقْشِرَةً رَمَتْ بِي ... إِلَى أُخْرَى كَتَلُكَ هَلَامٌ جَرَّأ .
فَلَمَّا لَاحَ لِي سَغَبٌ وَلُوحٌ ... وَقَدْ مَتَّعَ النَّهَارُ لَقِيْتُ عَمْرًا .
فَقُلْتُ : فَهَاتِ زُبْدًا أَوْ سَنَامًا ... فَقَالَ : كَلَاهُمَا وَتَزَادُ تَمْرًا .
فَقَدَّسَ لِلْقِرَى شَطْبًا وَزَيْدًا ... وَطَلَّتْ لَدَيْهِ عَشْرًا ثُمَّ عَشْرًا .
فَذَهَبَ قَوْلُهُ مِثْلًا